مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 07 العدد: 04(2022) ص466-476

أخلاق ما بعد الحداثة في أفق الإهتمام بالذات عند ميشال فوكو

Postmodern ethics Michel Foucault's Self-care horizon

منال خوالدية*
جامعة عنابة (الجزائر)
Manel.khoualdia@univ.org

مصطفى كيحل
جامعة عنابة (الجزائر)
kihalmostafa@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
29 ماي 2021
تاريخ القبول:
26 افريل 2022

الكلمات المفتاحية:
- ما بعد الحداثة
- أزمة الأخلاق ؛
- فن العيش

الملخص:

إن خطاب ما بعد الحداثة يؤسس لعصر اللايقين والشك، وهو الأمر الذي يحيلنا إلى التساؤل عن وضع الأخلاق بمفهومها التقليدي الذي تم تجاوزه. فقد قامت ما بعد الحداثة كضرورة لمائلات الوضع الحداثي الذي بقدر ما أفرز مريدين وأتباع، أفرز أعداء ورافضين. ويعتبر الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو من أشد المعارضين للمنظومة الحداثية، حيث عمل في كتاباته على كشف أقنعتها، ومبشراً بعد نيتشة بفكر أخلاقي جديد .

Article info

Received
29 May 2021
Accepted
26 April 2021

:Keywords
- *Postmodernism*
- *the crisis of morality*
- *؛the art of living؛*

Abstract

Postmodernist discourse ushered the age of uncertainty and doubt; this compels us to inquire on the subjectof morality in its traditional definition which was overleaped. Postmodernism came as a necessity and a response to modernism; the latter had as many followers and proponents as it had opponents and adversaries. French philosopher Michel Foucault is one of the most prominent opponents of modernism. As the latter resulted in disastrous ramifications on mankind, Foucault attempted in his writings to unveil its cloaking, heralding—in the footsteps of Nietzsche—the emergence of a new moral system

*المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

إن العمل على إحياء الهم الأخلاقي اليوم يعتبر دليلاً على أن الإنسان جُبل أن يكون أخلاقياً بطبعه رغم كل المساعي لإبعاده أو إلهائه عن حقيقة ودور الأخلاق في حياته. فمساعي القطيعة مع الأخلاق كان للوضع الحداثي وما أسس له في عصر التنوير من أحلام التقدم والسيطرة على العالم بإزالة السحر عنه، وذلك بالعلم والتكنولوجيا اللذين لعبا دوراً مهماً، ولكنها في الوقت الذي مكنت للإنسان سُبل القوة نجدها قد أنهكت روحه مزعزعة القيم والثوابت الأخلاقية فاصلة الأخلاق عن الدين، لتلقى القيم في غياهب المجهول، الأمر الذي فتح باب الشرور لدى الإنسان فأضحى يتكالب عليها بوعي منه وبدون وعي فلم يعد للأخلاق بمفهومها التقليدي سلطة ولا سلطان.

ونظراً لإنتكاسة الحداثة الأخلاقية قامت ما بعد الحداثة كضرورة لمآلات الوضع المنهار، حيث نجد فلاسفة بنو فلسفاتهم على نقد وهدم مبادئ الحداثة. يعتبر الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (Michel Foucault) من أشد المعارضين للمنظومة الحداثية التي حملت بذور فنائها مبشراً بعد نيتشة بفكر أخلاقي جديد، إذ أن فوكو لم يتوانى للحظة عن إظهار قبح الحداثة باحثاً عن زاوية أخلاقية بطعم جمالي بعيدة كل البعد عن زمن الحداثة المتعفن، فكان رمزاً من رموز ما بعد الحداثة.

وإذا سلّمنا جدلاً أن ما بعد الحداثة تقوم على أساس رصد العوالم الخفية، وإعلاء الأصوات التي أُسكتت عقوداً (النساء، الشواذ, الشعوب المستعمرة...الخ) فإننا نجده خير من سلط الضوء على الهامش والمهمشين دون هوادة، وذلك بالبحث والتنقيب في المسكوت عنه وهو رهان حقيقي داخل المجتمع الحديث في ظل عالم تتعدد فيه أوجه الحقيقة والسيطرة للأقوى.

ووفق تقديرنا يتعين علينا إبراز رهانات الإشكالية التالية:

ما هي ملامح ما بعد الحداثة ضمن منظومة ميشال فوكو الفلسفية؟

وهل بإمكان ما بعد الحداثة أن ترصد خطاباً أخلاقياً في عالم يعاني التشظي والفوضى على كافة الأصعدة؟ وهل يمكن لجمالية فن العيش أن تكون مخرجاً للأزمة؟

2. ما بعد الحداثة وهواجس العصر

1.2خطاب ما بعد الحداثة التجديدي

إن محاولة رصد أي فكر جديد يحتاج إلى النظر في ما قبل هذا الفكر, وما هي الأسباب التي جعلت منه قائماً وله خطاباته التي يؤسسها فلاسفة ومفكرون بعد تأمل أحوال عصرهم وكبواته في ظل إفلاسه, وهو ما ينطبق على الحداثة التي حالها كحال سابقيها وحال ما بعدها. ففي الوقت الذي أسست فيه الحداثة جملة من التشريعات التنويرية التي إنبثقت من صراع مرير مع كل ما هو رجعي، مطلقة العنان للإنسان الذي أحكم خيوط اللعبة معلناً عن عصر جديد ستتحقق فيه سعادة الجنس البشري.

غير أن الحداثة فشلت في تحقيق وعودها بدليل قيام فكر "ما بعد الحداثة" المحاط بهالة من الغموض, فعند محاولة رصد مصطلح "ما بعد الحداثة" فإن ما يستقطب الإنتباه هو إعتماد كلمة 'ما بعد' ذلك أن " بادئة 'ما بعد الحداثة' post ليست مجرد كلمة تضاف إلى أخرى موجودة، بقدر ما هي لفظة جوهرية تتحكم في الكلمة اللاحقة وسواءاً كتبت بإرتباط مع الحداثة أو بإنفصال عنها post-modernity أو postmodernism فهي التي تمنح للحداثة في العبارة المنطوقة أو المكتوبة دلالتها " (جديدي، 2006، صفحة 126). والمقطع 'ما بعد' يعبر عن الزمان وعن المكان، بمعنى وضعية شيء يأتي مكانياً بعد شيء أخر، وكتابة الحداثة modernity بعد المقطع: (ما بعد post) يدل على إستمرارية ما للحداثة في الوضعية الجديدة، حيث أن الحقل الجمالي'لما بعد الحداثة' يفترض هذه الاستمرارية " (عبد الحافظ، 2012، صفحة 142).

ومحاولة فصل ما بعد الحداثة عن سابقتها يعتبر عدم لها لأن قوتها تكمن في محاربتها لشعارات الحداثة، إذ لا يمكن لأي خطاب أن يتبلور من لاشيء بل يبني وفقاً لأساس متين حتى يحقق الإنتشار، كما أن أحداث التاريخ تكون متصلة مع بعضها البعض. يقول

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إيهاب حسن " ليس ثمة ستار حديدي أو سور صيني يفصلان بين الحداثة وما بعد الحداثة... وأشك في أننا جميعا بعض فكتوريين، وبعض حديثين، وبعض ما بعد حداثيين في أن معا " (حسن، 2007، صفحة 12).

غير أن هناك من يرفض الإستمرارية بل ويؤمن بالقطيعة المطلقة ففي مقابل الحقل الجمالي " يرفض الحقل الفلسفي والثقافي عموماً أن يكون هناك إمتداد ما للحداثة في ما بعدها " (عبد الحافظ، 2012، صفحة 142).

ويمكن القول أن: مصطلح ما بعد الحداثة جاء في الخمسينيات على أيدي نقاد الأدب لوصف أنواع جديدة من التجارب الأدبية التي إنبثقت عن جماليات الحداثة وتجاوزتها.

و'ما بعد' في مصطلح 'ما بعد الحداثة' يعبر عن كل تلك المتغيرات التي عرفتها الثقافة الغربية في أواخر القرن العشرين في كافة المجالات خاصة الأدب والفلسفة والفنون بما فيها فن العمارة.

أما شطرها الثاني المتمثل في مصطلح الحداثة فيعتبر مصطلحاً حيوياً في خطاب ما بعد الحداثة، إذ ساهم في إعدام مشروع الحداثة الذي لم يكتمل بعد. وعن خصائص ما بعد الحداثة فإنها لم تعد خيالية أو أنها على إعتبار ما سيكون، بدليل أن الإنسان المعاصر يتميز باللامبالاة ويعيش عصر اللذة بكل ما فيه من إختلاف وتعددية، مغامراً ومتعطشاً لسبل تحقيق السعادة الذاتية ولو على حساب الجماعة، وهذا نتاج للأزمة القيمية التي إنبثقت عن الأخلاق العلمانية الحديثة.

تعتبر مساءلة الفكر الفوكوي ومحاولة تصنيف التيار الذي ينتسب إليه عملية شائكة، خاصة أن هذا الفيلسوف أراد أن ينأى بنفسه عن ذلك الجدل الدائر بين الحداثة وما بعد الحداثة، والموضة التي شاعت داخل الأوساط الفلسفية وهي محاولات تصنيف الفلاسفة المعاصرين خاصة الفرنسيين منهم، إذ أن البعض منهم يعتبره حداثي والبعض الآخر يعتبره ما بعد بنيوي وآخرون يعتبرونه ما بعد حداثي ...الخ.

وعليه فإذا ما إعتبرنا أن فوكو فيلسوف ما بعد الحداثة. فكيف جسد هذا الأخير حضوره داخل فكرها؟

القول بإنتساب فيلسوف ما إلى زمرة فكرية لا يعتبر أمراً جديداً. فكل فيلسوف له فلسفته التي تمر على مجهر التصنيف، خاصة مع ميشال فوكو الذي تعمد إحاطة فلسفته بهالة من التعقيد والتجديد، كما أنه يرفض فكرة وضعه في أي قالب فلسفي مهما كان وهذا يعود إلى طبيعة فلسفته التي تؤمن بالإختلاف والخروج عن نطاق القوالب الجاهزة والأفكار التقليدية بل يحرص على صياغة أطروحات جديدة وفريدة، الأمر الذي يصعب تحديد الفكر الفلسفي الفوكوي،" فقد كان لنشاط فوكو ألف قناع فهو كاشف أرشيفات وصحفي...وقد تميزت مسيرته الفلسفية بنشاط متعدد الأشكال يصعب تحديده كما أن الموت لم يترك له قناعاً واحداً، فكان مثل محارب متمرداً على مناورات المحاصرة " (روجيه، 2004، صفحة 11). وإذا أردنا رصد ملامح ما بعد الحداثة داخل فكره الفلسفي نقول أولاً أن: "ما بعد الحداثة من الناحية الفلسفية فرنسية بما أن فيلسوفها الأساسي هو الفرنسي جون فرنسوا ليوتار (jean François lyotard (1924- 1998) فكتابه الوضع ما بعد حداثي (1979) يعتبر أول كتاب فلسفي طرح الأفكار الأساسية لما بعد الحداثة، والإقرار بفشل مشروع الحداثة الغربية بدليل الحروب التي عرفتها البشرية في العصر الحديث بحيث تركت الإنسان يعيش بلا أوهام أو أساطير (بغورة، 2012، صفحة 93).حيث يقول" فقدت الحكاية الكبرى مصداقيتها، بصرف النظر عن نمط التوحيد الذي تستخدمه، وبصرف النظر عما إذا كانت حكاية تأملية أم حكاية تحرر" (ليوتار، 1994، صفحة 56). ما بعد الحداثة عنده هي "التشكيك إزاء الميتا – حكايات هذا التشكيك هو نتاج التقدم الذي تعرفه العلوم " (ليوتار، 1994، صفحة 24).

ورفض ليوتار للسرديات الكبرى التي تمثل خصائص الحداثة وميزاتها التي أقامت صرحها يعتبر مدخلاً أساسياً لإقامة فلسفة ما بعد الحداثة التي تعود جذورها إلى عدد من الفلاسفة الذين لم يُعلنوا صراحة ما بعد حداثتهم وعلى رأسهم نجد ميشال فوكو الذي يعتبر من أشرس الفلاسفة الذين هاجموا الحداثة من الداخل، فهو الفيلسوف الفرنسي الغامض الذي أسس فكراً

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فلسفياً مميزاً يعكس شغفه الفلسفي مما جعله يتعمد رصد قضايا العصر المهمشة التي تعتبر -بيت الداء-، حيث نجده يستحضر قضايا جديدة لم يتم طرحها من قبل بذلك العمق الفلسفي وتلك الرؤية، إذ يؤكد دافيد هارفي على أهمية ميشيل فوكو ودوره الفعال في خطاب ما بعد الحداثة بقوله " تستحق أفكار فوكو الإهتمام – وبخاصة كما جرى تطويرها في أعماله الأولى- لأنها تمثل احد أهم المصادر لترويج وإثبات حجج ما بعد الحداثة " (هارفي، 2005، صفحة 67). خاصة وأنه من أشرس المتمردين على الحداثة من خلال المواضيع التي تولى دراستها فإستطاع الدفع بالفلسفة قدماً ومنحها روحاً جديدة في الوقت الذي أضحت فيه هذه الأخيرة تكرر مواضيعها.

إن فوكو بحث من خلال فلسفته عن الحقيقة المتخفية والوجه الآخر للحياة، ونتيجة لتأثره بنيتشة الذي رصد مواضيع خارج الصندوق فقد سار ضد التيار حاملاً معه سلاحه المتمثل في المنهج الذي فك به شفرة العقل الغربي وهدم الكثير من المسلمات التي سيطرت على الإنسان الغربي، إذ يؤكد فوكو عن" سأم جيله من المفكرين، ونفوره من موضوعات الفلسفة 'التقليدية' التي تحيل كلها في تكرار ممل، إلى الوجود والحياة والسياسة والحرية والمعنى والنضال والالتزام. وأن جيله لم يعد قادراً على التنفس داخل هذا المناخ الفكري الخانق، وأصبح يتطلع إلى أفاق فلسفية أخرى بديلة". فسرديات الحداثة الكبرى أثبتت عقمها فاتحة الأفق أمام السرديات الصغرى إذ يقول " لم نعد نستطيع الإستعانة بالسرديات الكبرى لا نستطيع اللجوء لا إلى جدل الروح ولا حتى إلى تحرير البشرية كمبرر لصلاحية الخطاب العلمي ما بعد حداثي لكن تظل السرديات الصغرى هي الشكل الجوهري للإبتكار الإبداعي، خصوصاً للعالم " (روجيه، 2004، صفحة 75). كما تمثل مدخلاً لفهم وضع الذات المشوهة بين تضخيم الأنا في المقابل إحكام السيطرة على ' المختلف' و'الأخر' الذي يمثل خطراً وتهديداً.

لقد إستمد الإنسان الحداثي مشروعيته من خصوصيته التي حارب لأجلها، فالمتأمل لتاريخ الإنسان الغربي ككل يلاحظ أنه لم يدرك ذاته إلا بعد صراع مرير مع هاته الذات. فالعقل البشرى جعل الإنسان الغربي يشعر بعظمة نفسه وتفوقه على كل الكائنات، إذ إستطاع من خلاله أن يحل لغز العالم بإزالة السحر وكل الحواجز المقدسة عنه برفع شعار العلم، كما أن الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة عززت للإنسان الغربي قدرته على فهم ذاته والإنطلاق بها إلى مجال فسيح من الإبداعات على كافة الأصعدة.

غير أن الحداثة لم تحرر الذات، بل جعلتها خاضعة لممارسات تقنيات الرقابة التي سيطرت على الحياة الحداثية، وهي تعود إلى المسيحية التي " إعتمدت وسيلتين لممارسة الرقابة الفردية، عرفتهما مذاهب فكرية يونانية سابقة كالفيثاغورية والرواقية والأبيقورية، وهما فحص الوجدان وقيادته. ولكن المسيحية جعلت الفرد خاضع خضوعا مطلقا وترسيخ مبدأ التبعية لراعيه أو كاهنه، بحيث لا يمكنه أن يعتمد على ذاته في أية ممارسة " (صفدي، 1990، صفحة 104). وبينما كان فحص الوجدان وسيلة لزيادة معرفة النفس عند اليونان فقد حولتها المسيحية كما يرى فوكو، إلى أداة للإنفتاح المقود تجاه قائده، لتلقن الفرد دروس إماتة النفس برفضه لذاته في هذا العالم ... ومن هذا الخليط تكونت المجتمعات الحديثة والمعاصرة فكانت مجتمعات شيطانية (صفدي، 1990، صفحة 104).

إن هذا الحكم قام على أساس إعتماد فوكو المنهج الأركيولوجي والجنيالوجي الذي يمثل حالة متميزة في سياق الرؤية الفلسفية المعاصرة، " فمنهج فوكو يبدأ من الممارسات الواقعية أو تحديداً ما يسميه بتقنيات، وإستراتيجيات " (بوكبر، 2018، صفحة 101). فمنهجه النقدي يمثل سلاحه الأول لرصد أزمة الحداثة التي تكمن وفقه نتيجة للإزدواجية التي كرستها هذه الأخيرة وتواطُئها ضد مصلحة الإنسان، حيث أنها تعمل على وضع نفسها في إطار العقلانية والتنوير والعلم مخفية الجوانب المظلمة في ممارساتها على المرضى والمجانين والمجرمين فالحداثة طوعت كل أشكال المراقبة للسيطرة على الإنسان.

2.3 تجاوز الأخلاق التقليدية وسيطرة الإيروس

الأخلاق تمثل المنهج الإنساني المقوم لسلوكاته العبثية، لذلك نجد أنها ترتبط بالإنسان إرتباطاً وثيقاً، فهي نظام الحماية والآمان لوجوده الذي يعزز

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

شعوره أنه كائن عقلاني بالدرجة الأولى. فالأخلاق تطورت مع التطور البشري مقدمة في شكل جملة من التعاليم والعادات والأعراف التي تضبط سلوك المجتمعات هذا إذا ما نظرنا إلى الأخلاق في عمومها، ولكن هناك تصور أخر للأخلاق على الصعيد الفلسفي من منطلق أن الأخلاق لا تبحث في ما هو كائن وإنما في ما يجب أن يكون وهو ما يعكسه مصطلح ethique في مقابل مصطلح الأخلاق moral.

إن الاشتقاق اللغوي ethique الأخلاق النظرية ترجع للكلمة اليوناني la ethe التي تعني العادات الأخلاقية، بينما تعود الأخلاق moral إلى الكلمة اللاتينية mores والتي تعني الأعراف. والكلمتان وإن كانتا تتسمان بدلالات متقاربة غاية القرب، وتحيلان إلى مضامين متشابهة، إلى فكرة العادات الأخلاقية والأعراف وسبل العمل التي يحددها الإستعمال (روس، 2001، صفحة 11).

لقد إتخذت الأخلاق المعاصرة منحى مختلف عن الأخلاق التقيلدية التي كانت تتميز بصرامة الواجب والمثل العليا، والتي لم تعد تتماشى مع متطلبات هذا العصر الذي يسيطر عليه مبدأ الإيروس وأفول الواجب الذي يمثل عائقاً أمام الإستقلالية التي لطالما كان يطمح إليها. إذ تغير مفهوم الأخلاق مثلما تغيرت العديد من المفاهيم وخلق مصطلحات جديدة تعكس مرحلة ما بعد الحداثة الذي تضخمت فيه الرأسمالية الإستهلاكية، جاعلة منه "إنسان السلعة" بلا منازع.

يرى الفيلسوف وعالم الاجتماع جيل ليبوفتسكي (Gille lipovetsky) أن " التحولات والتغيرات الناتجة عن الثورة في عالم الإستهلاك والإتصال وظهور أنواع جديدة من الذوق والمتع والرغبات، والحرية الجنسية, وتحول المجتمع إلى التركيز على الفرد وعلى الرفاهية وتحقيق الذات كلها تعبير صريح عن ما بعد الحداثة " (lipovetsky, 1983, p. 163). فحياة الإنسان المعاصر أصبحت تتميز بالتحرر الفردي والإنفتاح على كل الملذات دون قيد أو شرط، وهو الأمر الذي أثر على الأخلاق ودورها الذي ظل في تقلص مستمر وخطير " لم تعد هناك موانع أخلاقية بالمعنى التقليدي بل بعض الضوابط اللينة فقط, التي جعلت من الأخلاق المعاصرة أخلاقاً لا مؤلمة، لأنها لم تعد تستدعي جهاد الفرد لذاته وشهواته، بل أصبحت خادمة لها, مسخرة من أجل إشباعها " (ليبوفيتسكي، 2012، صفحة 76).

كل هذه التحولات جعلت الإنسان يخوض غمار " الما بعديات" ففي ظل غياب دور الأخلاق أضحى الإنسان يعيش مرحلة ما بعد الأخلاق أو ما بعد الواجب وأهم مقوماتها " ترويج القيم المتعية، والذي تعزز فيما بعد بحركات التحرير الجنسي، قلب الأخلاق الجنسية التقليدية رأساً على عقب. خلال نصف القرن، لم يعد الجنس مرتبطاً بالشر والخطأ، ولم تعد للثقافة التي تقمع الحواس أية قيمة، وصار **'ايروس'** من أهم التعبيرات في عالم ما بعد الواجب " (ليبوفتسكي، 2018، صفحة 66) وهذه المرحلة التي يحكمها الإيروس، ودفعت بالتحرر الجنسي إلى أقصاه وإلى تحرير الجسد بشكل فج ليتراجع مبدأ الواجب الذي كان مبدءاً متمركزاً ضمن الطرح الأخلاقي للحداثة ويعتبر كانط أهم فلاسفة الأخلاق القائلين به. وفي ظل سيطرة هذا الفكر الجديد الذي كانت عواقبه وخيمة على حياة الإنسان الذي أصبح يعاني من الغربة والتيه الوجودي على كافة الأصعدة, وأشدها التيه الجنسي الذي ذهب إلى أقصاه متجسداً في مختلف صور الشذوذ التي خرجت عن نطاق السيطرة " فالتركيز على الأمثلة الموغلة في الشذوذ يبرز ما يعيشه عموم الناس يوميا. فتناسل علب التبادل الجنسي وكثرة المقبلين على بيوت الدعارة للعربدة، فضلاً عن إنتشار عواصم السياحة الجنسية, كل هذه المظاهر إنما هي تعبير قوي عن خروج الجنس عن إطاره المعترف به وهو رابط الزواج " (مافيزولي، 2016، صفحة 119).

إذ أضحى الإنسان المعاصر يتخبط أخلاقيا في ظل إستفحال العدمية وموت الإيديولوجيات والفردانية وهذا الأمر يؤثر على نشاط الأخلاق ويعيق حركتها وتطورها مقارنة بأخلاق الحداثة التي كانت أكثر إنطلاقاً ولها مساحتها التي تلعب فيها مؤمّنه نفسها بتلك السرديات الكبرى. وفقدت الأخلاق بمعياريتها الكامنة في ما يجب أن يكون رونقها ولم تعد صالحة للإيمان والتبشير بها، خصوصا في عالم برغماتي يميل إلى التوحش والتوغل في ملذات الجسد والحياة الديونزسية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لقد إنسحبت الأخلاق التقليدية وفكرة القيمي دفنت مع الماضي, رافعين دعاة ما بعد الحداثة لشعار الأخلاقيات الخاصة والجمالية، فما كان يمارس في الخفاء أصبح يمارس في العلن ويتم الإشهار له وسيطرة الشبكة العنكبوتية على عقول الأفراد لا أكبر شاهد على إنحسار كل ما هو قيمي وأخلاقي مبني على الواجب وأمام تغير موازين الأخلاق, وتزايد الإهتمام بالجسد والذي يعتبر بوابة الإستمتاع الغير متناهي وتحقيق الملذات بكافة أشكالها فإننا بحاجة لرصد وضعية الجنس في عالم ما بعد الحداثة وما مخرجات ذلك الوضع.

ولآن فكرة سيطرة حكم الإيروس أججت حب إشباع الرغبات وجنون المتع إلى جانب حالة القلق والحرمان والإحباط والخوف الذي وصل أقصاه داخل النسيج الثقافي الغربي, وأمام موجة التحرر التي إكتسحت حياة الفرد نجده يستثمر ذلك في الحياة الجنسية، إذ أن الإنحطاط والإباحية أصبحت سمة هذا العصر.

فالوضع يحتم أن يتم إعادة النظر وجعل الإنسان المعاصر يتذوق جماليات فن العيش ويحقق معادلة الإهتمام بالذات، من خلال الإعتدال في ممارساته الحياتيه في عالم أضحى يتخبط في دوامة الإستهلاك والإنقياد وراء الملذات فاقداً منطق وفن الإنسجام والإعتدال في كل شيء، وهو ما إشتغل عليه فوكو في دراسته للجنس وعلاقته بالأخلاق وبحثه في جماليات الوجود.

إن ما يوجهه الإنسان المعاصر يتمحور حول وجوده الأخلاقي الذي إنسلخ عنه محدثاً شرخاً كبيراً في طريقة عيشه التي تحولت إلى شبح يطارده، فهو في مجتمع مفرط في الفردانية. وأضحى الإستهلاك ثقافة تنخر في عظم الإنسان الحديث المستسلم حتى أنه لم يعد هناك أمراً لم تطله يد الإستهلاك فنجد " إستهلاك اللحظة والمكان، حتى الطفولة لا تسلم من الإستهلاك: سعي محموم للسلع ونهم للإقتناء، وسيل جارف من الإعلانات التي لا ترى في الطفل مواطن المستقبل بل مستهلك الحاضر " (زيجمونت، 2016، صفحة 81). ينضوي تحت ثقافة الإستهلاك منظومة ممنهجة لإستدراج الإنسان، لخدمة أجندات خفية تحاول غرس قيم جديدة، وإيهامه أنها قد سخرت له كل القوى لتحقيق السعادة والراحة الأبدية. فالإستهلاك لم يعد وسيلة لتلبية مستلزمات وجاجيات الإنسان الأساسية وضمان العيش الكريم، إنما أصبح يتحكم في قيم الإنسان المعاصر. وهو المشهد الذي سيطر على فكر ما بعد الحداثة . وإن لم يكن فوكو قد تطرق إلى الوضع الما بعد حداثي خاصة على الصعيد الأخلاقي، بحكم موته المبكر. إلا أن وضع الإنسان اليوم ليس أحسن حالاً من وضعه في الحداثة التي لطالما نبذها.

إذ أن إستماتة خطاب ما بعد الحداثة في نسف مقومات الحداثة وفتح الأفق أمام الما بعديات، خلق واقعاً إجتماعياً وثقافياً مشوهاً محملاً بالتجاوزات على كافة الأصعدة في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، فالمجتمعات المعاصرة تعيش على صفيح ساخن من الأخطار والمخاوف التي لم يعد بالإمكان السيطرة عليها، أو الشعور بالأمان. ليجد نفسه أمام أزمة جديدة في حقيقتها أخطر من أزمة الحداثة بمراحل.

3.- إتيقا الذات وجمالية الوجود

1,3 واقع التجربة الجنسانية وأشكلتها أخلاقيا

إن دراسة الواقع ورصد تجاربه أعطى لفلسفة فوكو نوعاً من الخصوصية، إذ لم يقبل أن يبقى في صومعة الفيلسوف بعيداً عن واقع الحياة وما تحمله من أسرار بل نجد أن كتاباته مزيجاً من الفلسفة والتاريخ و علم النفس، وهو ما يترجم رصده لتجارب تاريخية عديدة نذكر منها تجربة الجنس التي رصدها تاريخياً ومبرزاً كيف لعبت السلطة الحيوية دورها الحداثي في إدراجها كمشكلة أخلاقية.

حيث نجده يعيد قراءة وتحليل السلطة نظراً لدورها الحساس في تشكل منطق أي مجتمع من المجتمعات متجاوزاً المفهوم التقليدي لها إذ يقول فوكو " إن السلطة تعني بادئ ذي بدء علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى، مكونة لتنظيم تلك العلاقات، إنها الحركة التي تحول تلك القوة وتزيد من حدتها وتقلب موازينها بفعل الصراعات والمواجهات التي لا تنقطع " (فوكو م.، جينيالوجيا المعرفة، 1988، صفحة 105). فتغلغل السلطة ضمن منظومة العلاقات يجعلها ليست حكراً على فئة دون الأخرى ولا يمكن السيطرة عليها

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أو التحكم فيها." لأنها تنتشر أو تنبت في مفاصل المجتمع كلها، وهي إجرائية، لأنها تعكس مجموعة من الإجراءات الخفية والمعلنة في الوقت ذاته " (دلوز، 1987، صفحة 30). نفهم من هذا أن فوكو يهدف إلى كشف القناع عن السلطة التي لا طالما حصرت في الدور القمعي وإظهار الجانب السلبي وتعزيزه، وهذا راجع إلى إرادة المعرفة التي خلقت جملة من التقنيات على مر التاريخ أخرجت من السلطة أسوء ما فيها لسيطرة على الإنسان والتمكن منه وإفشال محاولات المقاومة، الأمر الذي أماط اللثام عن الدور الايجابي للسلطة الذي هو جزء لا يتجزأ من حياة وتعاملات البشر على اعتبار أن لها شبكات متعددة، ولإدراك حقيقتها نجد فوكو بغوص أكثر في أعماق السلطة وفقا لمنهجه الأركيولوجي والبحث في ميكنزماتها أو ما أطلق عليه ' ميكرو فيزياء السلطة ' إذ بحث في السلطة الحيوية من بعدها الاجتماعي وأشكالها الإنضباطية.

ولآن موضوع 'الجنس' يحتل مكانة مهمة في خطاب ما بعد الحداثة، فنجد فوكو يتطرق إليه من زاوية قل الخوض فيها حيث تمكن من فتح صندوقه الأسود، من خلال فهم علاقته بالسلطة وكيف تحول إلى أحد أهم وأشرس التابوهات في عصر الحداثة. يرجع فوكو ذلك إلى طبيعة الذات وما تمارسه السلطة من عمليات تتدخل في تكوين الذوات نجد التذويت subjectivation الذي هو " صيرورة لا متناهية تجعل الفرد من خلال علاقته وتفاعله مع أفراد آخرين ومع مواضيع وفضاءات فيزيائية تفرض عليه ضبطاً جماعياً للقيم وللمعاني التي تعكس أحاسيس نابعة واللاوعي ويعطى لها قالباً محدداً (افيلال، 2019، صفحة 45). فالتذويت يعمل وفق عملية ممنهجة للسلطة معتمدة على العلوم التي تجعل من الإنسان إشكالية أساسية فيتم إخضاعه وضبطه بما يتناسب مع الممارسات الاجتماعية السائدة. ونشاط التذويت يظهر بشكل كبير في " الجنس".

يرى أن أزمة الجنس بدأت مع العصور الوسطى التي سيطرت فيها الديانة المسيحية على زمام الحياة بإعتماد آليات ممنهجة للسيطرة على هذا الجانب الحساس في حياة الإنسان فكان الإعتراف أحد أهم التقنيات المعتمدة حيث "إستدرجت الديانة المسيحية الإنسان الغربي للإعتراف مقابل التوبة، وذلك عندما سمح رجال الدين لأنفسهم بالتطفل على حياة الناس" (ابراهيمي، 2011، صفحة 90). فكان النبش في أسرار الغير أحد أهم الأدوار الملقاة على عاتق الراهب الذي يمارس سلطة الإقناع على الناس للإعتراف بمدخلاتهم بما فيها أحوالهم الجنسية وما تحمله من أسراراً وتجاوزات مثقلة كاهل الإنسان بالذنوب الذي يلجأ إلى الإعتراف لينال الغفران من الرب، يقول فوكو في هذا الصدد " نحن مجبرون على الإعتراف وعندما لا يكون الأمر تلقائياً أو مفروضاً من قبل ضرورة داخلية فإن الإعتراف يُنتزع إنتزاعاً فنحن نلاحقه في النفس أو ننتزعه من الجسد ومنذ العصر الوسيط يرافقه التعذيب هكذا صار الإنسان في الغرب حيواناً إعترافياً بامتياز" (foucault, histoire de la sexualite (la volonte .de savoir), 1976, p. 78) أن تقنية الإعتراف كانت أداة ضغط نفسية قوية مارستها السلطة الدينية على الإنسان الغربي بكل سلاسة ودون أي مقاومة منه لأنه كان يتوهم أن ذلك نابع عن حريته الشخصية في حين أنه يمارس على نفسه سياسة الإستبعاد .

وقد ظلت هذه التقنية معتمدة، فبعد تقلص سيطرة السلطة الدينية إنتقلت السيطرة إلى نظيرتها الطبية حيث تم إعتماد تقنية التنويم المغناطيسي كوسيلة للكشف عن المكبوتات وعلاج العقد النفسية فكانت "السلطة الطبية تنتزع الإعتراف من الشخص سواء كان واعياً أو غير واعي، وهذا من خلال جلسات التنويم المغناطيسي التي يتحدث فيها الأشخاص عن الأشياء التي ما كان ليصرح بها لو كان في وعيه التام " (ابراهيمي، 2011، صفحة 94). ويؤكد فوكو أسباب تقوي السلطة على الجنس هو أنه خلال القرن التاسع عشر أضحى الإنسان هو المحور الذي تدور حوله كل العلوم خاصة علم البيولوجيا فوفقا للمنهج الأركيولوجي ولأبحاثه نجده يؤكد على القطيعة الإبستمية " وإطار التحول من إبستمية (النظام المعرفي) إلى إبستمية أخرى جديدة تقطع مع سابقتها، فكان أن بحث التحول المعرفي من التاريخ الطبيعي إلى علم البيولوجيا " (بوكبر، 2018، صفحة 69). الذي إستغلته السلطة كغطاء لفرض سيطرتها على الجنس " فالحياة التي أضحت موضوعا وهدفا للسلطة، تجد تعبيرها في الجنس الذي به تتكاثر الحياة ويتقوى النوع البشري، فقد أصبح الجنس موضوعاً لخطاب السلطة " (بوكبر، 2018، صفحة 82). الذي من خلال تطبق السلطة الأجندة العنصرية للعقل الغربي الحداثي من خلال فكرة

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

النقاء العرقي والإنسان الكامل " تبدأ سلسلة طويلة من التدخلات المستمرة على مستوى الجسد والتصرفات والصحة والحياة اليومية ' مستمدة' حينئذ لونها الخاص ومبررها من الإهتمام الأسطوري بحماية نقاء الدم وبتغليب العرق " (فوكو م.، صفحة 150)

والجنس يؤثر تأثيراً كبيراً في سير الحياة بحكم أنه السبيل الأوحد لتناسل فيظهر عمل السلطة بجلاء عند تأكيدها على أهمية الصحة الجنسية وفي حالات التشجيع على الإنجاب أو تحديد النسل بما يتناسب والأوضاع الحياتية وتعزيز الرقابة الجنسية على الأفراد فالجنس تربة خصبة لتكون الأمراض النفسية فلابد من التحكم في سلوكيات الأفراد الجنسية، وقمع الشذوذ الجنسي الذي يؤثر سلباً على النظام الواجب إحترامه.

مع العلم أنه " لم يكن ما قام به فوكو من تاريخ للجنس تاريخاً للسلوك (أي أن الأمر لا يتعلق بالتساؤل عن كيفية ممارسة الناس للجنس) ولا تاريخاً للتمثلات (لا يتعلق بالتساؤل عن كيف تم تفكر الجنس من قبل الناس)، وإنما تاريخا لكيفيات التجربة المشكلة للذات الأخلاقية" (غرو، 2008، صفحة 125) إن سياسة التذويت التي مارستها الحداثة على الجنس أفقدته خصوصيته, إذ جعلت منه مشكلة أخلاقية إستحوذت من خلاله على الذات بشكل ممنهج لم تعرفه أي مرحلة تاريخية، ونظراً لعدم إيمانه بالمنظومة الأخلاقية الحداثية فقد غاص في عالم التجربة الأنطولوجي للجنسانية عبر التاريخ راصداً تقنيات الإهتمام بالذات وفن العيش.

3-2 إحياء الإهتمام بالذات:

إعتمد فوكو في مشروعه الأخلاقي على الفصل والتمييز بين مفهوم الأخلاق (la morale) ومفهوم الإتيقا (l'éthique). فالأخلاق "في المعنى العام، مجموع القيم وقواعد الفعل التي تكون مفروضة على الأفراد والمجموعات عن طريق أجهزة أمرية مختلفة، كالأسرة والمؤسسات التربوية والكنائس..الخ، وهذه الأخلاق تترتب عنها ' أخلاقية السلوكات ' " (البحري، 2015، صفحة 747)." في المقابل الإيتيقا تخص الكيفية التي بمقتضاها كل واحد يشكل ذاته نفسها كموضوع أخلاقي، إذ ثمة كيفيات مختلفة لآن 'يتصرف' المرء أخلاقياً، بمعنى كيفيات مختلفة بالنسبة إلى الفرد الفاعل لأن يفعل لا فقط من حيث هو فاعل، وإنما كموضوع أخلاقي لهذا الفعل" (البحري، 2015، صفحة 747).

و فلسفة الأخلاق الإنسانية هي العلم التطبيقي ل" فن العيش" القائم على 'علم الإنسان' النظري. الذي يعتبر من أهم الفنون التي يمارسها الإنسان وتضاهي في أهميتها باقي الفنون، إذ أنه أكثر تعقيداً فهو لا يشمل مجال بعينه وإنما يقوم فن العيش على فكرة ما يجب أن يكون عليه الإنسان، فهو الفنان وموضوع الفن. (فروم، 2007، صفحة 52)

ويعتبر تناول فوكو للذات هدفه الأساسي لقيام ذات قادرة على التخلص من كل ممارسات السلطة المتغلغلة في الحياة اليومية للأفراد، بحيث لم يعد بالإمكان تحديدها فأصبح لزاماً أن نعرف كيف نعتني بذواتنا لتتشكل الذات الإتيقيا من خلال جملة من التقنيات. فقد هيأ لمولد فرد قادر على الإبداع بإستمرارٍ، وفي بحثه عن سبل فن العيش وإنبثاق الوجود نجده قد إستوقفته الحياة الأخلاقية لدى الثقافة اليونانية –الرومانية خاصة ما يتعلق بالجنسانية ولعل مرد ذلك هو منهجه الأركيولوجي وطريقته التي تقوم على أساس التنقيب. وعلى النقد الجنيالوجي الذي يرسم المعارف والحقائق ويتعهدها بالتأويل والتقويم. فالجينيالوجيا تعني في أن واحد المسار التاريخي لنشوء المفاهيم والكشف عن النوازع الأخلاقية والحيوية لهذه المفاهيم (ولد اباه، 1994، صفحة 67).

إن ما يميز الثقافة القديمة في تجربة الجنسانية هو تجسد معالم جمالية الوجود إلى حد بعيد, فقد إحترمت الحياة الجنسية لأفرادها وحريتهم دون إخضاعهم لأية سلطة اجتماعية كانت أو سياسية، فمبدأ المنع لا يكون من منطلق القانون بقدر ما هو بغرض تحقيق وجود جميل لذلك " لا نجد تقنينا للسلوكيات من شأنه تنظيم الجنس أو التمييز بين ما هو مسموح وما هو محظور. يتعلق الأمر فعليا بالنسبة للأخلاق القديمة بأوامر موجهة إلى أناس أحرار، مع حضور ميكانيزمات من التسامح. ولا يأخذ مطلب الضوابط شكل قانوناً للممنوعات وإنما الشكل المبسط الذي يحمل ميزة خاصة" (غرو، 2008، صفحة 128).

إهتم أهل اليونان بسلامة الحياة الجنسية وضبطها لتحقيق حياة متوازنة وسليمة " فالسلوك الجنسي وإن كان موضوع تقويم وتحديد أخلاقي في التجربة اليونانية،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلا أن ذلك ليس متأت عن كونه ينظر إليه كشر في ذاته, إنما هو على العكس من ذلك طاقة طبيعية وضرورية. يتعين على الفرد أن يتحكم في هذه القوة الحادة والحيوية" (موسى، 2009، صفحة 83). من خلال إعتماد 'حمية للمتع الجنسية' وأخرى للإنجاب والتي تكون بوضع برنامج محدد للأغذية التي يجب تناولها ومقاديرها وما يجب الإمتناع عن تناوله إلى جانب ممارسة الرياضة وتحديد أفضل الأوقات للممارسة الجنسية. ورغم إرتباط تحقيق المتعة بالكثير من الصرامة ليست الطبية فقط بل الشخصية بالدرجة الأولى إلا " أن المرء لا يبلغ المتعة إلا إذا بالغ في الإهتمام بذاته, وما يقترن بها من مستلزمات" (ابراهيمي، 2011، صفحة 105). فمثلا عند التأكيد على حمية الإنجاب وتعزيز الحرص في الوالدين على إتخاذ كل الإحتياطات اللازمة للحصول أبناء أصحاء فان الهدف من ذلك هو " أن يتخلص الوالدين من أنانيتهما. ويجعل تفكيرهما لا ينصب في الطريقة التي بإمكانهما تحقيق المتع. بل تجبرهما على الإعتناء بشكل مستمر بمستقبل أولادهما " (ابراهيمي، 2011، صفحة 108).

ومن مظاهر جماليات الوجود عند اليونان نجدهم يهتمون بوضع مخطط لإحترام الوقت فكل أمر في الحياة له وقته الذي يناسبه ولا يجب خلط الأمور. حيث يؤكد فوكو أن عبارة " عندما يحين الوقت تحتل دوماً مكانة هامة جداً عند اليونان لا كمشكل أخلاقي فحسب، ولكن أيضاً كمسألة علم وتقنية " (foucault, histoire de la sexcualite (l usage des plaisirs), 1984, p. 80) .

إن هذه الضوابط وغيرها ساهمت في بلورة فالأخلاق القديمة حسب فوكو كانت جزءاً من نمط الحياة الذي تحدده منزلة الفرد الإجتماعية وغاياتها. فسمو المكانة وإتساع السيطرة على الآخرين مرتبط بالقدرة على التحكم الذاتي الصارم في الرغبات (موسى، 2009، صفحة 84).

كما أن ما يميز ثقافة اليونان من خلال أخلاقها النظرية أنها دعت إلى أن يكون الإنسان سيد نفسه وسيد إختياراته مسيطراً عن رغباته وأن يحقق معادلة الفضيلة وهو الوسط بين رذيلتين فلا إفراط ولا تفريط أي الاعتدال. ولكن هل دراسة فوكو لأخلاق اليونان وإعجابه بهذه الثقافة يعني أنه يريد أن يجعلها نموذج لأخلاق ما بعد الحداثة؟

يفند الزواوي بغورة هذا الإحتمال، ويؤكد على رفض فوكو " تحويل الأخلاق اليونانية إلى نموذج أخلاقي. وليس هناك حل صالح لكل زمان ومكان" (بغورة، 2012، صفحة 117). وإنما لأنه تبنى موقفه من سياسة الممنوع في أخلاق الحداثة خاصة الجنسية منها، بعد بحثه الأركيولوجي أن مرجعية الضبط والمنع الحداثية هي مرجعية أيديولوجية بحتة تطبقها سلطة المؤسسات وفق أجندة محددة خالية من أي حرص على ذات الفرد وما يعلي بعده الجمالي، بدليل أن الحياة الجنسية عند اليونان لم تخلو من التجاوزات فقد شملت مختلف أنواع الشذوذ الجنسي كالإستمناء والجنسية المثلية والتي حاربها الأطباء والمجتمع رغم أن هذه الظاهرة كانت منشره بشكل كبير. وما يميزهم هو أن أسلوب الحياة في هذه الثقافات موافق لفن الوجود الجميل الجاعلة من حياة الفرد أثراً فنياً. لأن إرساء أبجديات فنون العيش السوي لا يتحقق إلا من خلال الإهتمام بالجسد والذي يحيلنا بدوره إلى ضرورة الإهتمام بالسلوك الجنسي، والدعوة إلى الإعتدال والتحكم في اللذات مهما كان حجم المغريات وهذا الدافع يجب أن ينبثق عن الفرد وبعلاقته مع ذاته المتجددة.

وإذا ما عدنا إلى واقع النموذج الأخلاقي الحداثي القائم على القمع والمنع والرقابة، نجد أنه تم التمرد على هكذا نمط وكانت بدايته بالإنتفاضة الطلابية سنة 1968 التي أطلق عليها إسم الثورة الجنسية نظراً لما حملته من دعاوي إلى الحرية الجنسية، كإشارة إلى كسر حاجز السلطة بالتمرد على الوضع الإجتماعي المبني على السيطرة، والذي يخدم مصالح الأنظمة بالدرجة الأولى التي تسعى بكل السبل إلى ضمان إستقرارها. وما تشريع الحكومات الغربية المعاصرة لقوانين تبيح كل أشكال الحرية الجنسية وتأمين الرفاهية المطلقة إلا تطبيقا لنفس السياسة الضاغطة لأن" أن تعاهد الناس بالتغذية الناس بالتغذية الجيدة، وإشباع رغباتهم الجنسية، وفتنتهم بالملهيات التقنية الفاخرة كل أدعى لصرفهم عن التمرد على النظام الذي أولاهم تلك العناية " (سلون، 2021، صفحة 180). إذ " يشير ماركوز إلى مفارقة، وهي أن ثورة الجنس التي أطلقها الإنفلات القمعي أدت في الواقع إلى اختزال الجنس في ممارسات منصبة على الأعضاء التناسلية، لتعكس بذلك عمليات الإنتاج القائمة في العمل" (سلون، 2021، صفحة 181).

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعلى الجانب الأخر لا يمكن إخفاء أن المجتمعات المعاصرة تمكنت من التقدم أشواطاً كبيرة في الإهتمام بالجنسانية من خلال التركيز أكثر على الجسد وأهمية الاعتناء به، وهو يؤكده إقبال الأفراد على المنتجات الخاصة بالعناية بالجسد، والتشجيع على الأكل الصحي وممارسة الرياضة للحصول على جسم ممشوق وخالي من الأمراض، والتأكيد على الإصغاء إلى لغة الجسد بإحياء وتطوير علوم جديدة كعلم اليوغا والتنمية البشرية وعلم الطاقة وغيرها من العلوم التي تعنى بتطوير الإنسان لذاته تدخل تحت بند تقنيات اهتمام الفرد بذاته وإعطائها الأولوية دون ضغط أو إلزام.

4. خاتمة:

بات من نافلة القول التأكيد على أن ما يعيشه إنسان اليوم هو مرحلة فارقة في تاريخ البشرية فمنطق الازدواجية هو المنطق المسيطر الذي جعل الساحة الفلسفية تشهد العديد من التقلبات وفقا لما تقتضيه كل مرحلة ورهاناتها الفكرية المشروطة بما هو اجتماعي وفلسفي وتاريخي. والملاحظ أن الفكر الغربي يقوم على مبدأ النقد وهو ما يفسر تعدد المناهج والتيارات التي تتنوع وتختلف بإختلاف متطلبات العصر و المتطلبات الثقافية لكل بلد.

فقد شهد عصر الحداثة موجة تعظيم العقل وتنصيبه الإله الجديد ليتم إسقاط كل ما هو مختلف أو يتعارض مع مسلمات و بديهيات العقل, وذلك عن طريق الإستعانة بصنم السلطة التي أرادت إلباس الحقيقة رداء العقل والعقلانية وتضخيم الأنا في المقابل إحكام السيطرة على "المختلف "و" الأخر" الذي يمثل خطراً وتهديداً.

لذلك فإن خطاب ما بعد الحداثة وفقا لرؤية فوكو هو خطاب التوغل به في كل ما هو شائك، رافضاً القوالب الجاهزة ومتجاوزاً الحداثة التي تحولت في لحظة إلى كرة محملة بهواء ملوث يحوي مخلفات الإنسان الغربي الذي اعتقد أنه سيحقق الفردوس على الأرض، متخفياً وراء رداء حقوق الإنسان. في حين نجد أنها صدرت من المهمشين الكثير وطمست أي حق لهم، فاتحاًالأفق أمام الإنسان الغربي من جديد، باختراق حواجز الحداثة ونظامها، باستنطاق المسكوت عنه وإعادة الاعتبار للهوامش التي يرفضها ويُقزمها العقل الحداثي الفاقد لتوازنه الأخلاقي. وقد ساهمت رؤيته الفلسفية في ارتفاع كعب هؤلاء المهمشين وتم الإعتراف بحقوقهم، فنجد مثلا عدة دول من أوروبا الغربية وأمريكا حسب منظمة العفو الدولية تعترف بحقوق المثليين جنسيا وتسمح بزواج المثليين.

كما أن دراسته للأخلاق القديمة تعتبر محاولة جديدة من نوعها لفهم ودراسة الأخلاق بشكل أعمق بعيداً عن الطرح الحداثي، وبالرغم من إختلاف عصر وثقافة اليونان عن عصر ما بعد الحداثة إلا أنهما يشتركان وفقاً لفوكو في بعض النواحي منها أن اليونان جسدوا فن الوجود وجماليات العيش التي تتماشى مع الوضع الثقافي لتلك الحقبة كما أنها أسست لأخلاق نظرية منفصلة عن الدين وعن أي خطاب سلطوي, أخلاق نابعة من ذات الفرد وعنايته بنفسه.

وبالرغم من الإنتقادات التي توجه إلى أخلاق ما بعد الحداثة التي تنادى بالنسبي والمتعدد والمختلف وغياب القواعد إلا أن إستماتة خطاب ما بعد الحداثة في نسف مقومات الحداثة وفتح الأفق أمام الما بعديات وصل صداه إلى الأخلاق التي تعتبر حجر أساس في كيان الإنسان، الذي يعد الكائن الأخلاقي الوحيد على هذه البسيطة.

غير أن الأخلاق شهدت قفزات متأثرة بالرأسمالية الإستهلاكية التي تغلغلت في عمق مجتمع مفرط في الفردانية، يعاني من الإستهلاك المتضخم بغرض تحقيق السعادة الأبدية، ومحاولاً إحتواء القلق المسيطر على كيانه ومعاناته في عدم القدرة على مقاومة جاذبية الإغراءات المحاطة به. إذ إجتهدت ما بعد الحداثة في قولبة منظومة أخلاقية جديدة محفوفة بالمخاطر تقوم على مبدأ إحياء روح الرغبة وتحقيق المتع على إختلافها بعيداً عن أي عوائق.

ليتأسس مجتمع ما بعد الحداثة على الحرية الشخصية للأفراد، متخلصاً من كل أشكال التشدد والقمع إجتماعية كانت أو دينية أو أخلاقية، لقد تم التمرد على الأخلاق الصارمة التي تقوم على المثل العليا والواجب والتضحية، فأضحت فضيلة تحقيق السعادة وتقديس الذات والرفاهية المادية سمة هذا العصر الذي يؤمن بمبدأ عدم التعلق والقول بالبدايات المتجددة.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ولأجل تحقيق التناغم والتوازن في الطرح الما بعد حداثي نجد أن جماليات فن العيش هي السبيل الأقدر على فهم كينونة الإنسان، والتي ستكون مدخلاً لبناء أساليب جديدة للعيش بنظرة أكثر إنفتاحاً وعمق، كما أن الأخلاق التي ينشدها فوكو تعبر عن رغبة في التصالح مع الذات وقبول الآخر كما هو، وأن يتمكن الفرد من قيادة ذاته.وهذا هو الدافع الأساسي الذي جعله ينقد الحداثة، ويفتح صندوقها الأسود للخروج بمخرجات حقيقية تماشي واقع وخبرات إنسان اليوم.

وفي الوقت الذي نظن أن هذه المسائل بعيدة كل البعد عن موروثنا الثقافي العربي وأنها لا تخرج عن السياق الثقافي والسياسي والإجتماعي الغربي لكنها في حقيقة الأمر تستوقفنا وتجرنا إلى ضرورة البحث والتوغل في مجتمعاتنا ورصد الحقائق المخفية، فهناك حملة شرسة لإغماس الأفراد في عالم الملذات خاصة في ظل إنفتاح العوالم على بعضها. فإقامة أخلاق جديدة تراعي مستجدات هذا العصر أصبحت ضرورة لضمان حياة أمنة لأجيال المستقبل.

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

foucault, m. (1984). *histoire de la sexcualite (l usage des plaisirs).* gallimard.

foucault, m. (1976). *histoire de la sexualite (la volonte de savoir).* paris: gallimard.*l*

lipovetsky, g. (1983). *l'ere du vid.* paris: gallimard.

اريك فروم. (2007). *الانسان من اجل ذاته.* (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون) غير محدد: غير محدد.

الزواوي بغورة. (2012). الفكر الاخلاقي لمابعد الحداثة. *عالم الفكر* (العدد41).

السيد ولد اباه. (1994). *التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو.* بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.

ايهاب حسن. (2007). نحو مفهوم لمابعد الحداثة. محمد سبيلا، و عبد السلام بنعبد العالي (المحررون)، *دفاتر فلسفية 2* (محمد سبيلا، و عبد السلام بنعبد العالي، المترجمون. الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.

باومان زيجمونت. (2016). *الحياة السائلة.* (حجاج ابو جبر، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

بول روجيه. (2004). فوكو مخترق حدود الفلسفة. تأليف محمد ميلاد (المحرر)، *مسارات فلسفية.* سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

تود سلون. (2021). *حياة تالفة " ازمة النفس الحديثة".* (عبد الله بن سعيد الشهري، المترجمون) بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع.

جاكلين روس. (2001). *الفكر الاخلاقي المعاصر.* (عادل العوا، المترجمون) بيروت: عويدات للنشر والتوزيع.

جان فرانسوا ليوتار. (1994). *الوضع مابعد الحداثي.* (احمد حسان، المترجمون) القاهرة: دار شرقيات للنشر والتوزيع.

جيجيكة ابراهيمي. (2011). *حفريات الاكراه في الفلسفة "ميشال فوكو".* بيروت: مطابع الدار العربية.

جيل دلوز. (1987). *المعرفة والسلطة.* (سالم يفوت، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي العربي.

جيل ليبوفتسكي. (2018). *افول الواجب.* (البشير عصام المراكشي، المترجمون) بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.

جيل ليبوفيتسكي. (2012). *شاشة العالم.* (صادق راوية، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

حسين بوكبر. (2018). *ميشيل فوكو والسلطة الحيوية.* الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

حسين موسى. (2009). *الفرد والمجتمع "ميشال فوكو".* تونس: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

حفصية افيلال. (2019). التذويت السياسي في تجربة واسباب حركة 20 فبراير المغربية. *مجلة المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.*

خالد البحري. (2015). استطيقا الذات لدى فوكو. تأليف ام الزين بنشيخة المسكني، *مؤانسات في الجماليات "نظريات وتجارب رهانات* (صفحة 747). لبنان: منشورات ضفاف.

ديفيد هارفي. (2005). *حالة مابعد الحداثة.* (محمد شيا، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

فريدريك غرو. (2008). *ميشال فوكو.* (محمد وطفة، المترجمون) بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ليبوفتسكي جيل. (2018). *عصر الفراغ"الفردانية المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة.* بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.

مجدي عبد الحافظ. (2012). موقع العقل في فلسفات مابعد الحداثة. *عالم الفكر* (العدد 41).

محمد جديدي. (2006). الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي. قسنطينة، الجزائر: جامعة منتوري اطروحة دكتوراه غير منشورة.

مطاع صفدي. (1990). *نقد العقل الغربي"الحداثة وما بعد الحداثة".* بيروت: مركز الانماء القومي.

ميشال فوكو. (1988). *جينيالوجيا المعرفة.* (عبد السلام بنعبد العالي، و احمد السطاتي، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال.

ميشيل فوكو. *ارادة المعرفة.* (جورج ابي صالح، المترجمون) بيروت: دار الانماء القومي.

ميشيل مافيزولي. (2016). *عود على بدء "الاشكال الاساسية لمابعد الحداثة ".* (عبد الله زارو، المترجمون) المغرب: افريقيا الشرق.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)